



أدب الحوار

تأليف

فضيلة الشيخ

سلمان بن فهد العوده

المشرف العام على موقع الإسلام اليوم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من
يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد
ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه
ياحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

([الحشر: ١٨].)

([النساء: ١].)

([الأحزاب: ٧٠، ٧١].)

أمّا بعد:

فعنوان هذه الرسالة: " (١) .

وموضوع أدب الحوار مع الآخرين كبير وخطير؛
فالخلاف بين الناس أمر طبيعي مشهور، وللخلاف في أمور
الدين والشرع أسباب كثيرة، منها:

- أن دلالة بعض النصوص الشرعية ظنية، وليست
قطعية فتحمل أكثر من اجتهاد في تحديد معناها.

- اختلاف العقول والأفهام، وتفاوت المدارك.

- تفاوت العلم؛ فهذا عالم، وهذا أعلم، وهذا أقل.. قال
تعالى: ([يوسف: ٧٦].)

- عدم بلوغ الدليل فيقول العالم القول ولو بلغة الدليل في
المسألة لما قال به .

- الهوى والتعصب لقول، أو مذهب، أو رأي، أو

شيخ^(٢).

●
وحيثما يختلف الناس -سواء كانت اختلافاتهم كلية أو جزئية-؛ فإنهم يسلكون في معالجة هذا الخلاف مسالك شتى منها :

- :
فالحرب تكون -أحياناً- وسيلة لحل الخلاف، وإنهاء الخصومات، وإثبات الحق، إلا أنها لا تصلح أن تكون الحل الأول في ذلك؛ إذ إننا نجد أن كثيراً من المبادئ والنظريات التي قامت على القوة، وعلى الحديد والنار -كما يقال-، سرعان ما تهاوت وسقطت.

وحال الشيوعية اليوم خير شاهد على ذلك، فقد قامت بالحديد والنار، وكانت أجهزة الـ (KGB) -وهي أجهزة المخابرات السوفيتية- تلاحق المنشقين والمعارضين والمحاربين بكافة الوسائل، وتجنّد مئات الألوف من العملاء،

فضلاً عن الكثافة العددية لقوات الاتحاد السوفيتي العسكرية، والتي تعتبر أكثر من ثلاثة أضعاف القوات في الولايات المتحدة الأمريكية، ورغم كل هذا البطش والإرهاب، فقد سقطت الشيوعية خلال أقل من ثمانين عاماً.

على حين أن الوجه الآخر للحضارة المادية المنحرفة -وهو وجه الرأسمالية- لا زال حياً، وربما قوياً ممكناً في الأرض، وما ذلك لأنه مؤمن بالله عز وجل؛ ولكن لأنه سلك الأسلوب الذي يمكن التعبير عنه بأنه الأسلوب الديمقراطي، وذلك على الأقل في بعض أساليبه وطرائقه ومعاملاته لشعبه، فكان أرسخ وأبقى من النمط الشيوعي الشرقي المتعسف.

أما في الإسلام، فإن المسلمين وإن شنّوا حروباً ضد أعدائهم، لكن هذه الحروب لم تكن بهدف إكراه أحد على الدخول في الإسلام، فقد قال الله تعالى: (

([البقرة: ٢٥٦]؛ بل كانت بهدف إزالة الطواغيت التي تحول بين الناس وبين

: صفات المحاور.

: آفات في الحوار.

: آداب الحوار الصحيح.

: أمثلة من الحوارات.

* * *

الدخول في الدين، أو تضغط عليهم وتكرههم على ترك دينهم الحق، والدينونة بالكفر.

ولم يحفظ التاريخ أن المسلمين أكرهوا شخصاً واحداً على الدخول في الإسلام؛ ومما يمكن أن نلحقه بالحروب كل صور المفاصلة بسبب الرأي بما في ذلك التباغض والتهاجر ومناصبة العداة ونحو ذلك من صور المغالبة .

- :

وكما سبق أن تناولنا موضوع الجهاد في سبيل الله وأحاديثه ومجالاته في رسالة "حي على الجهاد"، فإننا نتناول في هذه الرسالة الوجه الآخر من أساليب معالجة الخلاف، وهو الحوار، سواء مع الكافر بهدف دعوته إلى الإسلام، أو مع المسلم، وذلك من خلال المباحث التالية:

: الحوار أقوى من الكلاشينكوف.

: أهمية الحوار.

: قواعد الحوار وأصوله.



ذكر الباقلاني، والسكوني، والشاطبي، وغيرهم، أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج المسمين بالحرورية، فذهب إليهم ابن عباس رضي الله عنه، وعليه حلة جميلة، فلما أقبل، قالوا له: يا ابن عباس، ما الذي جاء بك؟ وما هذه الثياب التي عليك؟

- فقال: أما الثياب التي عليّ، فما تنقمون مني؟ فوالله، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعليه حلة ليس أحد أحسن منه، ثم تلا عليهم قوله تعالى: (

[الأعراف: ٣٢].

- قالوا: ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟
- قال: جئتكم من عند أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وليس فيكم أنتم يا معشر الخوارج واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجئتكم من عند



المبحث الأول

الحوار أقوى من البندقية

إن الحوار يكون -أحياناً- أقوى من الأسلحة العسكرية كلها؛ لأنه يعتمد على القناعات الداخلية الذاتية؛ بل ربما أفلح الحوار فيما لا تفجح فيه الحروب الطاحنة.

وفيما يلي حادثتان تاريخيتان قديمتان تدلان على ذلك. وكلا الحادثتين تتعلق بطائفة من الخوارج، ومن المعروف في تاريخ الإسلام أن الخوارج من أكثر الناس ضراوة وقوة، وشجاعة وبسالة في الحروب، مما جعل الناس يرهبونهم.

حتى نساء الخوارج، كن يبدن من ضروب البسالة والشجاعة في الحروب ما تدهش له العقول له:

فلننظر كيف فعل بهم الحوار؟!

- :

رضي الله عنه، وقصة التحكيم معروفة^(٣)، والله تعالى يقول: ([الأنعام:٥٧].)

- قال: هذه واحدة فما الثانية؟

- قالوا: الثانية: أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتل ولم يسب، -أي قاتلهم وما سبى نساءهم-، فلئن كانوا مسلمين فقتاله حرام، ولئن كانوا كفاراً فلماذا لم يسبهم؟

- قال: وهذه أخرى، فما الثالثة؟

- قالوا: الثالثة: أنه نزع نفسه من إمرة المؤمنين لمَّا كتب الكتاب، فلم يكتب أمير المؤمنين؛ بل قال: علي بن أبي طالب.

- قال: أوقد فرغتم؟

- قالوا: نعم.

- قال: أما الأولى: فقولكم: حَكَّم الرجال في كتاب الله تعالى، فإن الله تعالى يقول في محكم التنزيل: (

([المائدة:٩٥]، فذكر الله تعالى حكم ذَوِي عدل فيما قتله

ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم -يعني: علي بن أبي طالب-، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم، فأنا رسول -أي وسيط- بينكم وبينهم.

- قال بعضهم: لا تحاوروا ابن عباس، لا تخاصموه، فإن الله تعالى يقول عن قريش: ([الزحرف:٥٨]، فلما خافوا من الهزيمة قالوا: اتركوا هذا، هذا جدل إنسان خَصِم! وقال بعضهم: بل نكلمه، ولننظر ماذا يقول؟

- قال ابن عباس رضي الله عنه: فكلمني منهم اثنان أو ثلاثة، فقال لهم: ماذا تنقمون على علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟

- قالوا: ننقم عليه ثلاثة أمور.

- قال: هاتوا.

- قالوا: الأول: أن علي بن أبي طالب حَكَّم الرجال في كتاب الله، يعني: بعث حكماً منه، وحكماً من معاوية

الإنسان من الصيد، سألتكم الله تعالى! التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أعظم، أم التحكيم فيما قتله الإنسان من الصيد؟

- قالوا: لا؛ بل التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أعظم.

- قال: فإن الله تعالى يقول في كتابه: (

[النساء: ٣٥]،

ناشدتكم الله تعالى! التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أهم، أو التحكيم في بضع امرأة؟

- قالوا: لا، التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم.

- قال: انتهت الأولى؟

- قالوا: نعم، فالثانية؟

- قال: أما الثانية، فقولكم: قاتل ولم يسب، هل تسبون أمكم عائشة رضي الله عنها - لأنها كانت في الطرف الآخر-، وتستحلون منها ما يستحل الرجال من النساء، إن قلتم ذلك كفرتم، وإن قلتم ليست بأمننا كفرتم -أيضًا-؛ لأنها أم المؤمنين، فاستحيوا من ذلك وحجلوا.

- قالوا: فالثالثة؟

- قال: أما قولكم: خلع نفسه من إمارة المؤمنين، وإذا لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عقد كتاب الصلح مع أبي سفيان وسهيل بن عمرو في صلح الحديبية، قال: " :

" قالوا: لو نعلم أنك

رسول الله ما قاتلناك، اكتب اسمك واسم أبيك، فمحا النبي صلى الله عليه وسلم الكتابة، وقال: " :
(٤)

فرجع منهم عن مذهب الخوارج ألفان، وبقيت بقيتهم، فقاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٥).

فانظر كيف أثر الحوار الهادئ القوي العميق في مثل هذه الرؤوس اليابسة الناشفة، حتى رجع منهم ألفان إلى مذهب أهل السنة والجماعة في مجلس واحد لم يستغرق ربع ساعة.



جاءكم هذا الحاكم كنتم أنتم أول من نفر عنه وحاربه.
- قالوا: صدقت، ولكنه لم يتبرأ ممن قبله ولم يلعنهم،
فلم يلعن علي بن أبي طالب، ولا معاوية، ولا بني أمية؛
لذا فنحن نحاربه - وهذا هو مذهب الخوارج -.
- قال لهم: كم مرة في اليوم تلعنون فيها هامان؟
- قالوا: ما لعناه قط!
- قال: أيسعكم أن تتركوا لعن وزير فرعون الطاغية،
والمنفذ لأوامره، والذي بنى صرحه بأمره، ولا يسعكم أن
تتركوا لعن أهل قبلتكم، إن كانوا أخطأوا في شيء، أو
عملوا بغير الحق؟!!

فسكتوا ورجع منهم طائفة كبيرة.

فَسُرَّ بِذَلِكَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ،
وَقَالَ لِهَذَا الرَّجُلِ: لِمَاذَا لَمْ تَحْتَجِّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ لَعْنِ فِرْعَوْنَ؟
- قال: لو قلت لهم: لماذا لا تلعنون فرعون؟ ربما قالوا:
إننا نلعنه، أما هامان فقلَّ من يلعنه على ألسنة الناس،
فلذلك احترته.



- :

وهو أيضًا يتعلق بطائفة الخوارج العنيدة.

فإنه لما بقيت منهم في الموصل بقية، كتب إليهم عمر
ابن عبد العزيز رحمه الله - الخليفة الأموي العادل - ينكر
خروجهم، ويقول لهم: "أنتم قليل أذلة"، فردُّوا عليه
وقالوا: أما قولك: إنا قليل أذلة، فإن الله تعالى يقول
لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم:)

([الأنفال: ٢٦]، فردوا عليه بذلك.

فوجَّه إليهم عمر بن عبد العزيز فقيهاً اسمه: عون
ابن عبد الله، وهو أخو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة رضي
الله عنهم ورحمهم أجمعين.

- فقال لهم عون بن عبد الله: إنكم كنتم تطلبون حاكمًا
في مثل عدالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلمَّا

المبحث الثاني

أهمية الحوار

تبرز أهمية الحوار من جانبين:

● : :

فتعقد لذلك محاورات مع غير المسلمين؛ لإقناعهم بأن دين الله تعالى حق لا شك فيه، أو مع مبتدعين منحرفين عن السنة؛ لدعوتهم إلى السنة، وأمرهم بالتزامها.

والقرآن الكريم حافل بنماذج من مثل هذه الحوارات التي جرت بين أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام وبين أقوامهم، حتى إن قوم نوح قالوا له: (

[هود: ٣٢]، فأكثر جدالهم حتى تبرموا من كثرة جداله لهم، والجدال نوع من الحوار.

إننا بحاجة إلى أن نحاور أصحاب المذاهب والنظريات والأديان الأخرى؛ بهدف دعوتهم إلى الله تعالى، فالحوار

فسكت هؤلاء الخوارج، حتى خرجوا في ولاية يزيد ابن عبد الملك، فقاتلهم^(٦).

والشاهد هنا كما يقول السكوني في (عيون المناظرات): "فكانت حجة عمر أبلغ من قتالهم بالسيف".

وهكذا يتبين أن الحجة القوية، والحوار الهادئ المقنع الرزين، من صاحب عقل وفهم وعلم، يفعل في كثير من الأحيان ما لا تفعله السيوف ولا المدافع والطائرات .

* * *

إذن، فإن الهدف الأول من الحوار هو دعوة الكفار إلى الإسلام، أو دعوة الضالين من المبتدعة إلى السنة.

● : :
فالحوار يُعد وسيلة للوصول إلى اليقين والحق في مسألة اجتهادية اختلفت فيها أقوال المجتهدين، فيتكلم اثنان في محاورة أو مناظرة للوصول إلى الحق في مسألة اجتهادية ليس فيها نص صريح، أو إجماع لا يجوز تعديده.

وليس من الضروري -أيها القارئ الكريم- أن تعتقد أن نتيجة الحوار لا بد أن تكون إقناعك الطرف الآخر بأن ما عندك حق، وما عنده باطل، فليس هذا بلازم، فقد تقنع إنساناً بذلك، فإن لم تتمكن، فأقل شيء تكسبه من الحوار - إذا التزمت بالشروط الموضوعية له - أن يعلم خصمك أن لديك حجة قوية، وأنت محاور جيد، وأن يأخذ انطباعاً بأنك موضوعي متعقل، بعيد عن التشنج والهيجان والانفعال.

فكثير من الناس يظنون أن الآخرين لا يملكون الحق،

وسيلة من وسائل الدعوة.

ولا يجوز أبداً أن نعتقد - كما يعتقد الكثيرون - أن العالم اليوم يعيش حالة إفلاس من النظريات والعقائد والمبادئ والمثل، فهذا غير صحيح؛ بل العالم اليوم يعيش حالة تخمة من كثرة النظريات والمبادئ والعقائد والمثل والفلسفات وغيرها، صحيح أنها باطلة، ولكن هذا الركام الهائل من الباطل مدجج بأقوى أسلحة الدعوة والدعاية، والدعاة الذين تدرّبوا وتعلّموا كيف يدافعون عن الباطل حتى يصبح في نظر الناس حقاً.

أما أهل الحق فكثير منهم لا يحسن الطريقة المثلى للحوار؛ لإقناع الخصم بما لديه من الحق والسنة .

وقد لا يحسن هؤلاء أن يناقش بعضهم بعضاً، إلا من خلال فوهات المدافع والبنادق، فإن لم يملكوها، فمن خلال الأفواه التي تطلق من الكلمات الحارة الجارحة، ما هو أشد فتكاً من الرصاص والقذائف.

وليس عندهم شيء، وأنهم مجرد مقلدين، فإذا حاوروهم وناظروهم علموا أن لديهم حججاً قوية، فأقل ما تكسبه أن تجعل أمام مناظرك علامة استفهام.

فقد تلتقي بنصراني داعية إلى النصرانية، فتناقشه، فمن المحتمل أن يسلم، وهذا خير كثير، وهو أرقى وأعلى ما تتمناه، لكن قد لا يسلم، فهل تعتبر أنك قد خسرت المناظرة؟ لا؛ لأنه وإن لم يسلم، فربما صار عنده تفكير في الإسلام يدعوه إلى أن يبحث، ثم قد يسلم ولو بعد حين، وإذا لم يفكر في ذلك، فعلى الأقل صار عنده شكوك في دينه، وإذا لم يحصل هذا، فعلى أقل تقدير فتر شيء من الحماس الذي كان يحمله لدينه، وصار عنده تردد في مذهبه الباطل.

ونحن نجد أن المسلمين الذين يكثرون الاحتكاك بأهل الكتاب أو بالمنحرفين عن الإسلام ويسمعون منهم الكثير؛ نجد أن هؤلاء المسلمين وإن لم يتركوا دينهم إلا أن

حماسهم يقل ويفتر لدينهم حتى وهم على الحق؛ وذلك من كثرة ما سمعوا من أعدائه، فما بالك بأهل الباطل إذا سمعوا نقد باطلهم؟ لا بد أن يفتر حماسهم له، أو يشكوا فيه، أو يتراجعوا عنه.

● :

الحوار والجدال والمناظرة كلها ألفاظ متقاربة لمعنى واحد، وإن كان أكثر ما جاء من لفظ الجدال في القرآن الكريم يطلق على الجدال المذموم، كما في قوله تعالى: ([الكهف: ٥٦].)

ولكن جاء لفظ الجدال في القرآن أيضاً في مواضع محمودة، وهي:

- قوله تعالى: ()

([العنكبوت: ٤٦]، فهذا جدل بالتي هي أحسن لدعوة اليهود والنصارى إلى الإسلام.

- قوله تعالى: ()

المبحث الثالث

قواعد الحوار وأصوله

إن من الضروري أن يتلقى المسلم - وخاصة الداعية إلى الله - أسس الحوار وأصوله، في عالم يموج اليوم بالنظريات الكافرة والاتجاهات المنحرفة، فقد أصبح الحوار فنًا يدرس - أحيانًا - باسم: فن الجدل، وأحيانًا يسمونه: فن المناظرة.

إضافة إلى فن آخر له علاقة كبيرة بالموضوع، وهو ما يسمى بفن العلاقات العامة، الذي تقام فيه دورات لكثير من الموظفين، والمتخصصين في العلاقات العامة، والدعاة، وغيرهم .

والعلاقات العامة تعني: حسن الاتصال بالآخرين؛ لإقناعهم برأي، أو لترويج سلعة من السلع، أو تصحيح فكرة، أو التمهيد لقضية من القضايا من خلال الاتصال بالناس، فهو فن لا بد للداعية أن يتعلمه نظريًا وعمليًا.

([النحل: ١٢٥].)

- قوله تعالى: ()

([هود: ٧٤]، فكيف جادلهم؟ لما سأهم: أبعثتم إليهم لإهلاكهم؟ قالوا: نعم. قال: أفيهم مائة مسلم؟ قالوا: لا. قال: أفيهم خمسون مسلمًا؟ قالوا: لا. قال: عشرة مسلمين. قالوا: لا. قال: خمسة مسلمين؟ قالوا: لا. قال: فقوم ليس فيهم هؤلاء جديرون بالإهلاك، فهذا - كما ذكر بعض المفسرين - الجدل الذي حصل من إبراهيم عليه السلام^(٧).

- قوله تعالى: ()

([المجادلة: ١].)

* * *

الزوجات، أو في مسألة الجهاد؛ حيث إن هذه القضايا بالذات هي أكثر القضايا التي يثير حولها الغربيون شبهاتهم؛ لإثارة الفتنة بين المسلمين.

المهم هو كيف تحاور هذا الكافر الذي لا يؤمن بالإسلام؟ هل تناقشه في هذه المسائل إذا حاورك بشأها؟ بإمكانك هنا أن تحاوره بإحدى طريقتين:

- أن تحيل إلى الأصل، فتقول له: إن الجهاد وتعدد الزوجات والحجاب وما على شاكلة هذه القضايا؛ جزء من دين الإسلام، وبدلاً من أن نناقش هذه النقاط ينبغي أن نرجع للأصل، وهو الإسلام، فنتجادل فيه، فإذا اقتنعت بالإسلام، فحينئذ -من باب أولى- أن تقتنع بهذه الأمور، ولا حاجة أن نتجادل فيها، وإذا لم تقتنع بالإسلام، فنقاشي معك في هذه الجزئية يعتبر نوعاً من العبث الذي لا طائل تحته.

- يمكنك أن تناقشه بالحجج المنطقية، في نفس الجزئيات التي يجادل حولها.

وللحوار قواعد كثيرة، نعرض بعضها فيما يلي:

● :

ينبغي أن يدور الحوار حول مسألة محددة، فإن كثيراً من الحوارات تكون جدلاً عقيمًا، ليس له نقطة محددة ينتهي إليها، فينبغي أن يكون الحوار أو الجدل () [النحل: ١٢٥] حول نقطة معينة، بحيث يتم التركيز عليها، ولا يتعداها الحوار حتى يُنتهى منها.

● :

ينبغي ألا يتم التناقش في الفرع قبل الاتفاق على الأصل؛ إذ إن مناقشة الفرع مع كون الأصل غير متفق عليه، تعتبر نوعاً من الجدل العقيم إلا في حالات معينة.

وأضرب أمثلة لحالات يمكن فيها مناقشة الفرع، أو مناقشة الأصل:

فلو جاءك كافر لا يؤمن بيوم الحساب، وأخذ يناقشك في قضية حجاب المرأة المسلمة -مثلاً-، أو في قضية تعدد

حاجة إلى أن نطيل فيه الآن.

● :

يجب الاتفاق على أصل يرجع إليه المتحاورون إذا وُجد الخلاف، واحتدم النقاش، وذلك كالاتفاق على الرجوع عند الاختلاف إلى القرآن الكريم، وإلى صحيح السنة، وإلى القواعد الثابتة المستقرة، أو إلى ما كان عليه السلف الصالح -رضي الله عنهم-، المهم أن نتفق على أمور تكون مرجعاً عند الخلاف.

وقد وقعت حادثة حدثني بها جماعة من العلماء منهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله، والشيخ عبد الله بن قعود، أن جماعة من الشيعة كتبوا إلى مفتي الديار السعودية السابق الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله، يطلبون منه أن يعقد مجلساً للحوار معهم، فَهَمَّ الشيخ محمد بن إبراهيم أن يهمل هذا الطلب وألا يُرد عليهم، فأشار عليه الشيخ عبد الرزاق عفيفي بأن

فمثلاً: إذا تكلم عن تعدد الزوجات، فيمكن أن تجادله في هذا الموضوع بأن تخبره أنه من الثابت علمياً أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال، وفي (أمريكا) نفسها تصل -أحياناً- نسبة النساء إلى الرجال مائة وتسعة عشر إلى مائة، وأحياناً مائة وستين إلى مائة؛ فستون امرأة زيادة على المائة، لمن تكون؟!!

فإذا لم نأذن للرجال بتعدد الزوجات، فذلك يعني أن هؤلاء النساء بقين ضائعات بلا أزواج، أو اضطررن إلى ممارسة البغاء والرزيلة، فتعدد الزوجات ضرورة لا بد منها؛ لأن نسبة الإناث في أكثر المجتمعات أكثر من نسبة الرجال.

وهكذا، عندما تثبت لهذا الكافر حالات وأوضاعاً يكون تعدد الزوجات فيها أمراً سائغاً؛ فربما آمن بالإسلام من خلال اقتناعه بهذه الحجج.

وقد بسط القول في الرد على هذه الشبهات الأستاذ محمد قطب في كتابه "شبهات حول الإسلام". بما لا يدع

المبحث الرابع صفات المحاور

● :
وقد كان ذلك من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم،
كما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت:
"كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثاً لو شاء العادُّ
أن يحصيه لأحصاه، لم يكن يسرد الحديث كسردكم"^(٨).
فعلى المحاور أن يكون هادئاً سلساً، جيد الإلقاء.

● :
والمقصود من حسن التصور، ألا تكون الأفكار عند
المتحدث مشوشة أو متداخلة أو متضاربة، فبعض الناس -
لضعف تصوره- ربما يطرح فكرة أثناء النقاش، وبعدها
ينتصف في شرحها يتبين له أنها غير صالحة، ولا تخدم
الغرض، فينتبه في منتصف الطريق بعدما يكون قد تورط
في ذلك.

هذا الأمر ما دام جاء منهم فينبغي ألا يُهمل؛ لأنهم قد
يعتبرون عدم إجابتنا على طلبهم نوعاً من النكول عن
المنظرة أو ضعف الحجة.

فالأولى أن نكتب لهم بالموافقة على المناظرة شريطة أن
يكون هناك أصلٌ نرجع إليه، ويكون هذا الأصل هو
القرآن الكريم، وصحيح البخاري ومسلم، فكتب لهم
الشيخ رحمه الله بهذا المضمون، أنه لا مانع من إجراء
الحوار والمناقشة، شريطة أن نرجع في الاختلاف إلى
القرآن الكريم، وصحيح البخاري ومسلم، فلم يردوا
عليه، ولم يجيبوه إلى ما سأل.

وهذا يبرز أهمية تحديد أصل يُرجع إليه عند الخلاف.

* * *



● : :

فالقدررة على ترتيب الأفكار، وتسلسلها، وارتباط بعضها ببعض وعدم تداخلها، أو اضطرابها، مما يثبت حجة الحوار ويقويها.

● : :

ينبغي أن يكون الحوار ذا علم وقوة وقدرة، فإن بعض الحوارين قد يخذل الحق بضعف علمه، فرغم أن الحق معه، إلا أنه لم يدعمه بالعلم القوي، فيضع نفسه في غير موضعه.

لذلك فليس كل إنسان مهياً للحوار، حتى وإن كان صاحب حق، فإنه ربما حاور بهدف نصر الحق فيخذل الحق؛ لضعف علمه وبصيرته، وربما حاور بجهل فيقتنع بالباطل الذي مع خصمه، وربما احتج بحجج باطلة، مثلما يحدث في بعض المناظرات والحوارات التي تعقد، فلا يقتنع الناس بالحق الذي يحمله.



● : :

لا بد من الفهم وقوة العقل؛ ليدرك المتحدث حجج الخصم، ويتمكن من فهمها، ويعرف نقاط الضعف والقوة فيها، فيقبل ما فيها من حق، ويرد ما فيها من باطل.

● : :

فينبغي التجرد في طلب الحق وتوصيله إلى الآخرين، بحيث لا يكون همُّ المرء الانتصار لرأيه، وإنما همه طلب الحق وإيصاله للآخرين.

● : :

فالتواضع أثناء المناقشة، أو بعد الانتصار على الخصم، من أهم ما ينبغي أن يتحلى به الحوار.

وكأننا في ذلك قد أخذنا بمبدأ الكلمة التي قالها (دليل كارنيجي) في كتابه: "كيف تؤثر في الناس وتكسب الأصدقاء"؛ إذ قال: إذا كنت تريد أن ينفذ الناس من حولك، ويسخروا منك عندما توليهم ظهرك وتتركهم، فأليك الوصفة: لا تعط أحداً فرصة للحديث، تكلم بدون انقطاع، وإذا خطرت لك فكرة بينما غيرك يتحدث، فلا تنتظر حتى يتم حديثه، فهو ليس ذكياً مثلك! فلماذا تضع وقتك في الاستماع إلى حديثه السخيف؟ اقتحم عليه الحديث، واعترض في منتصف كلامه، واطرح ما لديك.

● : إن البعض يهولون أقوال الآخرين، ويحملون كلامهم من الضخامة ما لا يخطر إلا في نفوس مرضى القلوب، لماذا؟ لئلا يتجرأ أحد على القول بمثل ما قالوا، أو نصره ما ذهبوا إليه.

فيحاول المحاور -أحياناً- أن يحيط القول المرادود بمالة

المبحث الخامس

آفات في الحوار

أما الحوار القائم بين كثير من المسلمين بعضهم مع بعض، ففيه عيوب وأخطاء نذكر منها :

● : فكأن الإنسان في غابة تتهارش فيها السباع، ومن لم يكن ذنباً أكلته الذئاب، فيرى أن انتصاره في الحوار لن يكون إلا عن طريق مبالغته في رفع الصوت على خصمه، والله تعالى يقول: ([لقمان: ١٩].

● : وذلك لئلا تدع للخصم فرصة يتحدث فيها، فيهدم بناءك الهش، أو يحطّم حججك الزجاجية، أو يثير البلبلة في نفوس الناس.

رهيبة فيقول: هذا القول كفر، وهذا فسق، وهذا بدعة، وهذا خرق للإجماع، وهذا مصادمة للنصوص الشرعية، وهذا اتهام للعلماء، وهذا قول حادث باطل لم يسبق إليه...، ويظل يهولُ ويطول ويضخم العبارات، بحيث يشعر السامع أنه قول خطير، يجب البعد عنه، وعدم التورط في قبوله، أو الاقتناع بحجة من تكلم به. وقد لا يكون القول كذلك.

نحن لا ننكر أن من الأقوال ما يكون كفرًا أو فسقًا أو بدعة، ومنها ما يكون مصادمة للنص، أو قولاً حادثاً لم يسبق إليه صاحبه، لكن هذه الأشياء كلها لا بد حين يقولها الإنسان أن يثبتها بالدليل الواضح، أما مجرد إطلاق دعاوى فارغة في الهواء، فهذا لا يسمن ولا يغني من جوع.

:

:

●

فتصفه بما لا يليق من الأوصاف؛ تأديباً له وردعاً

لأمثاله، فتقول: هذا جاهل سخيف حقير متسرع، وأضعف الإيمان أن تصفه بأنه ليس أهلاً لهذا الأمر. ولا يكفي هذا فحسب؛ بل لا بد من كشف نية هذا الإنسان، فتتهمه بفساد نيته، وسوء طويته، وخبث مقصده؛ بل قد تتهمه بأنه عدو مغرض للإسلام، أو محارب للسنة وأهلها، له أهداف بعيدة من وراء مقالاته تلك، أو بأنه عميل للشرق أو الغرب، أو لقوى خارجية أو داخلية...

ونحن لا ننكر -أيضاً- أن من الناس من هو سيء النية والطويّة خبيث المقصد، ومنهم من هو عدو للإسلام أو السنة؛ بل ومنهم من هو عميل للشرق أو الغرب، أو لقوى بعيدة أو قريبة، لكن حين تُطلق هذه الأشياء، فلا بد من الدليل الواضح عليها، ولا يجوز أن نصادر عقولنا، ويُطلب منا أن نقنع بشيء لم يُسَق عليه أي دليل.

فليس مقصود الحوار تناول شخص بعينه، اللهم إلا إن كان موضوع الحوار أو نقطة الحوار -أصلاً- هي الكلام عن هذا الشخص، فهذا باب آخر.

المبحث السادس

آداب الحوار الصحيح

إن آداب الحوار الصحيح، هي بإيجاز:

● : :

فليس المقصود من الحوار العلو في الأرض، ولا الفساد، ولا الانتصار للنفس، ولكن المقصود الوصول إلى الحق .

والله تعالى يعلم من قلب المحاور ما إن كان يهدف إلى ذلك أم يهدف إلى الانتصار، والتحدث في المجالس أنه أفحم خصمه بالحجة.

ضع في اعتبارك أنه يحتمل أن يكون الخطأ عندك والصواب عند غيرك، فالله تعالى لم يحابك، ويختصك دون بقية خلقه بالعلم والفهم والإدراك والعقل، فإذا كان عندك حق، فعند غيرك حق، وقد يكون عندك حق كثير، وعنده حق قليل، وقد يكون العكس.

فعلى المسلم أن يطلب الحق بحسن نية، وألا يكون هدفه وهو يسمع كلام خصمه أن يرد عليه متى سكت؛ بل هدفه الوصول إلى الحقيقة، ولهذا كان الإمام الشافعي رحمه الله يقول: "ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويُسدّد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بين الله الحق على لساني أو لسانه"^(٩).

وهذه -والله- أخلاق أتباع الأنبياء؛ لأنه يتغني إحقاق الحق لا إسقاط الخصم .

● : :

من آداب الحوار: التواضع، وتجنّب ما يدل على العجب والغرور والكبرياء.

فبعض الناس إذا حاور شخصاً أو حادثه أعرض ونأى بجانبه، وازورراً لا يلتفت إلى خصمه، إشارة إلى السخرية وعدم الاكتراث به، وربما ظهر على قسّمات وجهه أو حركات حاجبيه أو عينيه أو شفّتيه ما يدل على السخرية

والاستكبار، وربما يزم شفتيه، أو يلوي وجهه، أو يلوي عنقه، أو يشير بطرف عينيه إشارات تعبر عن السخرية والازدراء، فهذا كله من الكبر.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " (١٠) "

فمن التواضع أن تقبل الحق ممن جاء به حتى ولو كان أعدى أعدائك، وتعدّ ذلك ضالتك المنشودة، فأنت باحث عن الحقيقة أنى وجدتها فأنت أحقّ بها.

ومن التواضع -أيضاً- ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالي والكبرياء، وازدراء ما عند الآخرين، كأن يقول: نرى كذا، وعندي، وأنا، وقلت، ونحو هذه الألفاظ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره من أهل العلم أن إبليس هو الذي قال: (

([الأعراف: ١٢]، فـ(أنا) هذه المتعاطمة الرادة للحق هي من إبليس، وقارون هو الذي قال: (

([القصص: ٧٨]، فالذي يقول: عندي، وهو ليس أهلاً لذلك شبيهه بقارون، وسائر المستكبرين تعاضموا في نفوسهم فردّوا الحق.

● :

الإصغاء إلى الآخرين فن قلّ من يجيده، فأكثرنا يجيد الحديث أكثر من الاستماع، والله سبحانه وتعالى جعل لك لساناً واحداً، وجعل لك أذنين حتى تسمع أكثر مما تتكلم، فلا بد أن تستمع جيداً، وأن تستوعب جيداً ما يقوله الآخرون.

ووضع أذنك للمحدّث، وحملقة عينيك بوجهه، وتأمّلك لما قال، يمكن أن يكون دليلاً على قوتك، وقدرتك على الحوار، وإذا وجدت ملاحظات، فيمكن أن تسجلها في ورقة لتتحدث فيها بعدما ينتهي من حديثه.

وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم، فربما تحدّث معه بعض المشركين بكلام لا يستحق أن يُسمع،

فيصغي النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا انتهى هذا الرجل وفرغ من كلامه، قال له صلى الله عليه وسلم: " قال: نعم. فتكلم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء من القرآن^(١).

● : :

وهو أن تكون الحقيقة ضالتك المنشودة، تبحث عنها في كل مكان، وفي كل عقل.

جرّد نفسك، ولا تبال بالناس رضوا أم سخطوا، وكن باحثاً عن الحقيقة، وليعلم ربك من قلبك أنه ليس في قلبك إلا محبة الله تعالى، ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، وحب الحق الذي يجبه الله ورسوله.

فلتستخلص الحق من خصمك، ولو من بين ركام الباطل الكثير الذي ربما جاء به.

وربما أجرى الله تعالى كلمة الحق على لسان الفاسق، أو حتى على لسان الكافر -أحياناً-، فيمكن أن تستفيد

من المحاور ولو كان فاسقاً أو كافرًا، فقد تستفيد منه عيباً موجوداً عندك أو عند المسلمين، أو تستفيد منه مصلحة دنيوية للمسلمين، أو أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله تعالى، ربما فطن له هو، وغفلت أنت عنه.

وللشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله كلمة حكيمة جميلة، يقول فيها معبراً عن رد الحق عند الكثيرين: "إن الذين لديهم ذكاء حاد لا يقبلون الصواب غالباً إلا إذا كان من عند أنفسهم؛ وذلك أن الله تعالى أعطاهم قدرات وطاقات عالية، وُفقوا بسببها إلى كثير من الحق الذي أخطأ فيه الناس؛ ولذلك فلديهم من الثقة بآرائهم وعدم الثقة بآراء الآخرين، ما يصعب معه على الناس إقناعهم بغير الآراء التي يرون هم".

إن الاعتراف بالحق وإعلانه -أيضاً- لا ينقص من قيمة الإنسان، فكونك تقول في مناظرة أو محاوراة أو محاضرة: أنا أخطأت في كذا، هذا لا يعيبك؛ بل هذا يرفع منزلتك عند الناس، ويدل على شجاعتك وقوتك،

وثقتك بنفسك.

●
:
:

فمن المصلحة ألا تبدأ الحوار بقضية مختلف فيها؛ بل ابدأ بموضوع متفق عليه، أو بقاعدة كلية مسلّمة أو بدهية، وتدرج منها إلى ما يشبهها أو يقاربها، ثم إلى مواضع الخلاف.

فمما يذكر عن سقراط -وهو أحد حكماء اليونان-، أنه كان يبدأ مع خصمه بنقاط الاتفاق بينهما، ويسأله أسئلة لا يملك الخصم أن يجيبه عليها إلا بنعم، ويظل ينقله إلى الجواب تلو الآخر، حتى يرى المناظر أنه أصبح يُقر بفكرة كان يرفضها من قبل.

وأضرب مثلاً على قضية الانتقال من الكليات إلى الجزئيات، أو من المسلّمات إلى غير المسلّمات:

قد يخاصمك إنسان في قضية أساليب الدعوة إلى الله

تعالى، هل هي توقيفية، أي لا بد أن يكون فيه نص على أسلوب الدعوة؟ أم أنها أساليب اجتهادية متجددة، يمكن أن آخذ بأي أسلوب، ولو لم يكن منصوصاً عليه، إذا لم يكن هذا الأسلوب حراماً؟

مثال: النشيد، قد يقول قائل: إن النشيد أسلوب من أساليب الدعوة، ويقول آخر: لا. أساليب الدعوة توقيفية، والنشيد ما ورد في الكتاب ولا في السنة، فلا يجوز استخدام النشيد كأسلوب من أساليب الدعوة، وهذا يختلف فيه بعض العلماء والدعاة في هذا العصر، ويتحاورون فيه.

والنقاش حول مشروعية النشيد كأسلوب للدعوة، قد يكون موضوعاً جزئياً شكلياً، ولكن لا مانع من ذكره للإيضاح فقط، فأرى أن تبدأ النقاش بهذا السؤال: لو أن إنساناً أنشد نشيداً ليس فيه معصية ولا كلام باطل محرم، وغير مصحوب بدف ولا مزمار ولا غيره، وهذا الكلام أنشده على سبيل الترويح عن النفس، أو المؤانسة، أو قطع

عناء الطريق في سفر؛ هل هذا يحرم أم لا؟

سيقول لك الطرف الآخر: لا يحرم؛ بل هو طيب، ثم تنتقل وتسأله سؤالاً آخر: هل يوجد شيء في الشريعة يكون مباحاً غير حرام بشرط عدم إصلاح النية فيه، فإذا صلحت النية كان هذا الشيء حراماً؟ سيقول لك: لا.

إذاً: فمن أين لك أن قراءة بعض الأناشيد بنية صالحة؛ بهدف إشغال الناس -مثلاً- عن الغناء المحرم، أو رفع معنوياتهم، أو تلقينهم الحكم، والمعاني الرفيعة؛ أن هذا العمل يكون حراماً؟!

قد يقول البعض: إن هذا عبادة والعبادة توقيفية، فيقال: من أين لك أن هذا داخل في باب العبادة التي هي القربى؟

إن العبادة أنواع: فقد تطلق العبادة على العبادات التوقيفية، التي هي القرب كالصلاة -مثلاً- والحج، فأحداث صفة جديدة للصلاة أو الحج لا يجوز؛ بل هو

بدعة؛ لأن الصلاة توقيفية، وهي قربة محضة إلى الله تعالى.

وهناك أعمال أخرى يمكن أن يكون الإنسان مأجوراً عليها، ولا يُطلق عليها أنها قربة محضة إلى الله تعالى، مثلما ورد في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "

"^(١٢)، فليس معنى ذلك أن جماع الإنسان لزوجته يكون عبادة بذاته، وليس قربة محضة إلى الله عز وجل، لكن يؤجر عليه الإنسان ما دام في الحلال، وقد أصلح صاحبه فيه النية.

كذلك القول في الأناشيد، مع التنبيه أنه لا بد من ضوابط بطبيعة الحال، مثل: عدم الإكثار منها، وخلوها من المعاني السيئة، وألا تكون مصحوبة بآلات محرمة، إلى غير ذلك.

● : :

فلو حاورت إنساناً، فتناول معهداً تعمل فيه، أو مقالة كتبتها، أو كتاباً ألفته، أو محاضرة ألقيتها، أو تناول جهة

أو قبيلة، أو لدعوة، أو لجماعة، فهذا ما يُسمى بالحزبية، بحيث يحيط هذا الشيء بعقله، فلا يملك عقلاً متحرراً من القيود والأوهام؛ بل تجده يدور في فلك معين، ولا يستطيع أن يتقبل الحق إلا في إطار محدود.

● : :

فنحن مأمورون أن نُنزل الناس منازلهم، وألا نبخس الناس أشياءهم.

فيا أخي المسلم الداعية، ليس النجاح في الحوار والمناظرة مرهوناً بإسقاطك لشخصية الطرف الآخر الذي تناظره، ولا إسقاطك لشخصيته يعني أنك نجحت في المناظرة؛ بل ربما يرتد الأمر عليك، ويكون هذا دليلاً على إفلاسك وعجزك، وأنت لا تملك الحجة؛ فاشتغلت بالمتكلم عن الكلام.

والناس اليوم تعي وتعقل، ولو أنك سندت قولاً من الأقوال الباطلة الزائفة حيناً من الزمن بالتهويش، واللجاج،

- تُحسب أنت عليها- بالانتقاص والسب وتبعب الأخطاء، فإياك أن تتعصب لهذا الشيء الذي تنتمي وتنتسب إليه، ثم تبادر بالرد، وتقوم بتقديم كشف بالإيجابيات والحسنات في مقابل الكشف الذي قدمه هو بالأخطاء، والسلبيات..، لا؛ بل عليك بالأمور التالية:

- أولاً: دع زمام الحديث بيده حتى ينتهي - كما اتفقنا قبل قليل-.

- ثانياً: اعترف بصوابه فيما أصاب فيه، والحق ضالة المؤمن - كما سبق-.

- ثالثاً: إذا انتهى فانقد الخطأ بطريقة علمية، بعيدة عن العواطف.

وما أعز وأصعب وأندر أن يتخلص الإنسان من التعصب -أي لون من ألوان التعصب-؛ فإن الحزبيات قد أثرت في المسلمين تأثيراً كبيراً جداً.

فمثلاً: يتعصب الإنسان -أحياناً- لمذهب أو لوطن،

مالك: أنه لما أَلَّفَ الموطأ، ومكث أربعين سنة يؤلفه،
وقرئ عليه آلاف المرات، وعرضه على سبعين من العلماء
فأقروه عليه، وتعب فيه أيما تعب، ومع ذلك لما بلغ
الخليفة المنصور كتاب مالك وأعجبه، وقال: إنا نريد أن
نعممه على الأمصار، ونأمرهم باتباعه؛ قال له الإمام
مالك: "لا تفعل -رحمك الله-، فإن الناس سبقت منهم
أقاوليل، وسمعوا أحاديث ورووا روايات، وأخذ كل قوم
بما سبق إليهم وما أتوا به، وعملوا بذلك ودانوا به وكل
ذلك من اختلاف أصحاب رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - ، ثم من بعدهم من التابعين، ورد الناس عما
اعتقدوه ودانوا به أمر صعب شديد، فدع الناس وما هم
عليه، ودع أهل كل بلد وما اختاروا لأنفسهم"^(١٥).

فلا حاجة إلى اللجوء إلى تبيكيت الشخص الذي
تخاصمه وإحراجه والسخرية منه .

فإن هذا القول الذي لا يسنده الحق سرعان ما ينهار
ويتهاوى بمجرد غفلة الساعين به، أو انشغالهم عنه بغيره،
فيموت وينساه الناس.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم -

”

”^(١٣)، فالؤمن ليس باللعان، ولا بالطعان في الناس
وأعراضهم، ونياتهم ومقاصدهم وأحوالهم، ولا بالفاحش،
ولا بالبذيء.

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه أنه قال: "لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول:

”^(١٤)، فهذا حال النبي صلى الله عليه وسلم وصفته،
وهذا كلامه في وصف المؤمن، أنه لا يجب الفحش ولا
التفحش.

ومن بديع احترام رأي الآخرين، ما ينقل عن الإمام

والفساد وغير ذلك، فتجد أنه بدلاً من أن يناقشك في هذا الموضوع يقول: يا أخي، الناس قد وصلوا إلى القمر، وأنت لازلت تجادل في هذا الموضوع!

فما علاقة وصول الناس إلى القمر أو عدم وصولهم بقضية مطالبتنا بحجاب المرأة المسلمة؟! أليس هذا إدخالاً لموضوع في قضية أخرى لا يتعلق بها؟

وقد تُكلم إنساناً -مثلاً- في قضية الغناء الفاحش البذيء، الذي أصبح يصك الأسماع، ويهيج الغرائز، ويدعو إلى الرذيلة، فيقول لك: يا أخي، المسلمون يُقتلون في مشارق البلاد ومغاربها، وتسفك دماؤهم، وتنتهك أعراضهم، وأنت لازلت تتكلم في هذه الجزئيات!؟

فما دمنا قد اتفقنا أن موضوع الغناء هو مادة الحوار الذي سيناقش، فما دخل قضية قتل المسلمين بذلك؟ وهل إذا تركنا الحديث عن الغناء أو الحديث عن حجاب المرأة المسلمة، ستحل مشاكل المسلمين، ويرفع الظلم عن المظلومين!؟

● : :
الموضوعية تعني: رعاية الموضوع، وعدم الخروج عنه.

- فمن الموضوعية: عدم الهروب من الموضوع الأساسي إلى غيره. إن بعض الناس إذا أخرجته في موضوع هرب منه إلى موضوع آخر، فهو ينتقل من موضوع إلى موضوع، وكلما أخرج في نقطة انسحب منها إلى غيرها، ونقل الحديث نقلة بعيدة أو قريبة.

ولعل هذا أعظم أدواء المناظرة، التي تجعل الإنسان يخرج منها -ربما بعد ساعات- دون طائل، والموضوع يقتضي ألا تخرج من نقطة إلا إذا انتهيت منها، ثم تنتقل إلى غيرها.

- كذلك من الموضوعية: عدم إدخال موضوع في آخر، فقد تتكلم مع إنسان في قضية حجاب المرأة المسلمة، وضرورة التزامها بالستر، وبعدها عن السفور، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب، أو الذهاب إلى أماكن اللهو

الأيمان الكاذبة، أو قد لا تكون كاذبة لكن اليمين ليس حجة، فكونك تحلف بالله العظيم الذي لا إله إلا هو أن هذا هو الحق، فهذا لا يقدم ولا يؤخر.

قد تكون مقتنعاً فعلاً أنه هو الحق، لكن قناعتك هذه ليست نابعة من دراستك، أو معرفتك بالحجج والأدلة؛ ولكنها نابعة عما تلقيته عن شيخ تعظمه فوق في قلبك، أو درسته منذ صغرك فاستقر في قراره في نفسك، وليس لأن لديك دليلاً قوياً على أنه هو الحق.

وفرق بين أن تكون مقتنعاً قناعة مطلقة بأنه هو الحق، فتحلف على ذلك، فإذا حلفت أنت عرفت أنك تعتقد أنه هو الحق، ولكن لا يلزم أن يكون هو الحق، فقد تراه حقاً وتحلف عليه، والواقع أن الحق بخلافه.

- كذلك من الموضوعية: تجنب الكذب في الحديث، فإن المناظر قد يكذب أحياناً، فقد سمعت مرة مناظرة بين اثنين في قضية أحدهما شيعي، فقام الشيعي وقال: روى

- كذلك من الموضوعية: عدم النيل من المتحدث باقحامه في نيته أو الكلام على شخصه، فبعض الناس يقول: من هذا الإنسان؟ ما هدفه؟ ما تاريخه؟ من وراءه؟ ما درجته من العلم؟ ما قدره؟

فيا أخي، ما علاقتك بهذا الشخص المتكلم؟ المهم أن أمامك دعوى وكلاماً ومطلوب منك مناقشته بالحجة والبرهان، فدع المتكلم جانباً، وانظر في الكلام الذي قيل، وما قدره من الخطأ أو من الصواب؟

اعمل بقولي وإن قصرت في عملي
ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري^(١٦)

- كذلك ليس من الموضوعية: الاشتغال بالإيمان المغلظة، والله سبحانه وتعالى ذم الذين يكثر من اليمين: قال تعالى: (

(
[القلم: ١٠-١٣]، فهذا دعوى ملصق في أهل العلم وليس منهم، وملصق في قومه وليس منهم، ومع ذلك يكثر من

الإمام أحمد في مسنده، وذكر حديثاً موضوعاً مختلقاً، وهذا الحديث إذا رجعت للجزء والصفحة من المسند، لا تجده، لكنه يعرف أن الخصم ليس عنده وقت حتى يرجع للمسند، ويتأكد من صحة الحديث، ومن البعيد جداً أن يكون قد أحاط بمسند الإمام أحمد حتى يعرف ما فيه، مما ليس فيه، فيستغل حديثاً مختلقاً ليضر به الخصم، وينسبه إلى كتاب من هذه الكتب، وربما ينظلي عليه.

فهذا ليس من الموضوعية في شيء، وإذا لم يكتشفه الخصم حال المناقشة فسيكتشفه فيما بعد، ويبين أنك كنت كاذباً فيما ادعيت.

ومثل الكذب وأخوه بتر النصوص، وهو أن تنقل نصاً طويلاً، فتجتزئ الكلام الذي يصلح لك، ويدل على ما تريد، وتترك الباقي، فهذا ليس من الأمانة؛ بل عليك أن تنقل الكلام كاملاً حتى يشاركك الناس فيما استنتجته، فإما أن يقرُّوك، وإما أن يخالفوك في الفهم.

ثم إن هذا الكلام أيضاً قد يقوله الإنسان ولا يُدرى

كل ما وراءه، فالكلام يُفهم من حال المتكلم، ومن سياقه، ومن نصوصه الأخرى، ومن سيرة قائله، كما ذكر الإمام ابن القيم في مواضع من كتبه: أن كلام الناس - يعني كلام البشر - يفهم على ضوء الشخص المتكلم، وظروفه، وما يُعلم عن المتكلم وأحواله، فإذا صدر كلام من شخص يحتمل أكثر من معنى عرفنا أن الذي يليق بفلان من المعاني هو كيت، وكيت، وإن كان الكلام يحتمل غيره؛ لأن كلام الناس يحتمل وجوهاً.

- كما أن من الموضوعية: إذا لم تعرف مسألة ما أن تقول: لا أدري، وإذا ترك العالم لا أدري، أصيبت مقاتله، كما كان السلف يقولون: ويجب على العالم أن يعلم تلاميذه وطلابه قول: "لا أدري"؛ حتى يلجؤوا إليها فيما لا يعلمون .

- ومن الموضوعية: التوثيق العلمي، يعني إذا استدلت فلا تستدل بشائعات أو ظنون أو أوهام استقرت في عقلك أو في عقل من أمامك من الناس؛ بل استدل بالنصوص،

والأدلة الواضحة؛ والبراهين الثابتة، والإحصاءات الدقيقة، قال رسوله صلى الله عليه وسلم، وبراهين العلماء، تستدل بحقائق علمية، وتوثق ما تقول، أما مجرد الظنون والأوهام والشائعات، فإنها لا تصلح أدلة.

● : :

فإذا خالف إنسان أحد العلماء في قول، تأتي فتقول له: يا أخي، أنت خالفت فلاناً العالم، وهذا يلزم منه أنك ترى نفسك أعلم منه.

وهذا غير صحيح، فلا يلزم من قوله وخلافه للعالم الفلاني ذلك، فقد يخالفه في هذه المسألة باجتهاده، وهو يعرف أن هذا العالم أعلم منه في كل المسائل، لكن هذه المسألة لا يسعه أن يقلده فيها، كما لا يلزم من مخالفته له أن أن يخطئه أو يضلّه .

كذلك يأتي إنسان فيقول: فلان قال قولاً ما سبق إليه، وهذا يلزم منه أنه يحكم بأن الحق قد غاب عن الأمة

كلها طيلة القرون الماضية.. والصحيح أنه لا يلزم ذلك. وقد يكون هذا القول قد سبق إليه، وقال به غيره من قبل، وعلى فرض أنه ما قال به أحد قبله، فقد يحدث أنه لم ينقل مع كونه قد قيل من قبل.

وحتى لو فرض أنه لم يسبق إليه، فهو لا يرى أن هذا من الحق الذي يجب أن تعلمه الأمة في كل زمان ومكان؛ بل يرى أن هذا من الأشياء الاجتهادية التي قد يقول بها إنسان، وربما تحتاجها الأمة أو لا تحتاجها، فليس فرضاً أن تعلمه الأمة في كل حين وكل زمن وكل مكان، أو أن يقول به من قال به، وقد يرى أن المسألة ما نقل فيها قول -أصلاً-

والإلزام -بأن تلزم إنساناً بمقتضى كلامه- من المشكلات؛ لأن اللازم يصلح في كلام الله تعالى، فتقول: الآية يلزم منها كذا، واللازم يعتبر دليلاً من أنواع الدلالات، وكما يقول علماء الأصول: الدلالات ثلاث:

دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الإلزام، يعني: يلزم من هذا النص كذا وكذا.

فهذا يصح في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، أما كلام الناس فلا إلزام فيه بشيء ما، تقول: يلزم من كلامه كذا وكذا، رغم أنه ما خطر في باله هذا اللزام، ولا فكّر فيه يوماً من الأيام، وقد لا يوافقك على أنه لازم، ولو وافقك على أنه لازم قد لا يُقر به، فلماذا تلزم الناس بشيء لم يلتزموا به؟

ولذلك من باطل اللوازم أن أبا نواس الشاعر الماجن المشهور حاول أن يستخدم هذا الإلزام بطريقة ماجنة، فكان أهل العراق الأحناف يقولون بجواز النبيذ، وأهل الحجاز يقولون بتحريمه مثل الخمر، فيقولون النبيذ والخمر سواء، فكان هذا الشاعر الماجن الخبيث يقول:

أباح العراقي النبيذ وشربه

وقال: الحرامان المدامة والسكر

وقال الحجازي الشرابان واحد

فحل لنا من بين قوليهما الخمر

سأخذ من قوليهما طرفيهما

وأشربها لا فارق الوازر الوزر

ولا شك أن من قال بحل الخمر فهو كافر؛ لأن تحريمها

ثابت بنص القرآن الكريم، قال تعالى: (

[المائدة: ٩٠]،

لكني أردت أن أبين فساد الالتزامات والإلزامات التي يخلقه البعض ويحاول أن يحاصر بها الآخرين.

● : :

لا تبالغ في رفع الصوت أثناء الحوار، فليس من قوة الحجة المبالغة في رفع الصوت في النقاش والحوار؛ بل كلما كان الإنسان أهدأ كان أعمق؛ ولهذا تجد ضجيج البحر وصخبه على الشاطئ، حيث الصخور والمياه الضحلة، وحيث لا جواهر ولا درر، فإذا مشيت إلى عمق البحر

المبحث السابع

أمثلة من الحوارات

:

● هذا حوار جرى بين إسحاق بن راهويه رحمه الله -
إمام من أئمة أهل الحديث- وبين الشافعي.

يقول إسحاق: إن الإمام أحمد لما كان في مكة، قال:
لماذا لا تذهب للشافعي وتستفيد منه؟ قلت له: كيف أترك
ابن عيينة والمشايخ وأذهب إلى الإمام الشافعي؟ قال له:
يفوت وهم لا يفوتون.

قال: فذهبت إليه فتناظرنا في كراء^(١٧) بيوت مكة، هل
تكرى، أو لا تكرى؟ قال: فتكلمت مع الشافعي
وتحمست؛ ولكن الشافعي كان متساهلاً، فتكلمت
بالفارسية مع رجل جاني، وذكر كلمة بالفارسية معناها:
هذا ليس عنده كمال -يعني الشافعي-، قال: فعلم الشافعي
أني أسبه، وإن كان لا يجيد اللغة، فقال: هل تريد أن

ولجته وجدت الهدوء، حيث الماء العميق ونفائس البحر
وكنوزه؛ لذلك يقول المثل الغربي: "الماء العميق أهدأ".

* * *

وطاوس والحسن وإبراهيم؟! وهل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة؟^(٢٠).

ومثلها قصة أخرى طريفة جرت بحضرة الإمام أحمد، وذلك أن الشافعي وإسحاق تناظرا -أيضا- في جلود الميتة إذا دُبغت هل تطهر، أو لا تطهر؟ فقال الشافعي: دباغ جلود الميتة طهورها، فإذا دُبغ جلد الميتة طهر، قال إسحاق: ما الدليل؟ قال: الدليل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد شاة ميتة، أُعطيَتها مولاة لميمونة من الصدقة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قالوا: إنها ميتة، فقال: " " (٢١).

قال إسحاق: دليلي على أن جلود الميتة لا تطهر: حديث عبد الله بن عكيم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم قبل أن يموت بشهر: " (٢٢) يعني لا يجلد، ولا بعظم، وهذا يمكن أن يكون ناسخًا؛ لأنه قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بشهر، قال الشافعي: هذا كتاب الرسول عليه

تناظرني؟ قلت: من أجل المناظرة جئت!

قال: رأيت قول الله تعالى: (

[الحشر: ٨]، أليس الله نسب الديار إلى أربابها، أو إلى غير أربابها؟ قال: قلت: بل إلى أربابها، قال: عمر لما اشترى دار السجن بمكة^(١٨)، اشتراها من إنسان يملكها، أو لا يملكها؟ قلت: ممن يملكها، قال: قول النبي صلى الله عليه وسلم: " (١٩) الدور لهم، أو ليست لهم؟ قلت: لهم.

قال إسحاق: فقلت: الدليل على صحة قولي أنه قال به من التابعين فلان وفلان وفلان، قال: فالتفت الشافعي إلى رجل بجانبه وقال: من هذا؟ قال له: هذا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيهم؟!، قلت: هكذا يزعمون! قال: ما أحوجني أن يكون غيرك في مكانك فأمر بعرك أذنه، -هذا أدب يؤدب به الطالب الصغير-، قال: أقول لك: قال الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول: قال: عطاء

صلى الله عليه وسلم لا يورث، فرد ذلك الشيعي: إن لفظة " " الواردة في الحديث حال منصوب، والمعنى: أن ما تركناه -نحن الأنبياء- من الصدقات، فإنه لا يورث، أما بقية مالنا مما لم نخصصه للصدقة، فإنه يورث.

فقال أبو علي بن شاذان: أنا -والله- ما أعرف اللغة، ولا النحو، ولا المرفوع والمنصوب، والفاعل والمفعول، لكني أعرف شيئاً، وهو أن هذا الحديث احتج به أبو بكر رضي الله عنه -وهو عربي فصيح- على علي بن أبي طالب، وعلى العباس بن عبد المطلب، وعلى فاطمة -رضي الله عنها وعنهم أجمعين-، فكلهم أقرؤا أبا بكر على ذلك وسكتوا، ولم يقولوا بالذي قلته أنت.

فدل على أنهم -وهم عرب فصحاء- فهموا من الكلام -مثلما فهم أبو بكر-، أن النبي صلى الله عليه وسلم قصد بهذا الحديث أن الأنبياء لا يورثون^(٢٦).

* * *

الصلاة والسلام، وذاك سماع، والسماع مقدّم، فقال له إسحاق: إن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وغيرهم، وكان ذلك حجة عليهم عند الله تعالى، فسكت الشافعي.

والغريب في الأمر أن أحمد بن حنبل ذهب بعد تلك المناظرة إلى حديث عبد الله بن عكيم وقال به، ثم رجع عنه فيما بعد، وكذلك رجع إسحاق إلى حديث الشافعي وقال به^(٢٣)، وهذا دليل على تجردهم، وسعيهم للوصول إلى الحق.

:(٢٤)

ومن طرائف المناظرات: أن أبا علي بن شاذان -وهو فقيه وعالم، ولكنه كان ضعيفاً في النحو- ناظر أحد الشيعة حول قول النبي صلى الله عليه وسلم: " " ^(٢٥).

فقال أبو علي بن شاذان: هذا دليل على أن النبي

| | | |
|----|---------|---|
| ٣٠ | : | |
| ٣٠ | أولاً: | جودة الإلقاء، وحسن العرض، وسلاسة العبارة. |
| ٣٠ | ثانياً: | حسن التصور |
| ٣١ | ثالثاً: | ترتيب الأفكار |
| ٣١ | رابعاً: | العلم |
| ٣٢ | خامساً: | الفهم مع العلم |
| ٣٢ | سادساً: | الإخلاص |
| ٣٢ | سابعاً: | التواضع |
| ٣٣ | : | |
| ٣٣ | أولاً: | رفع الصوت |
| ٣٣ | ثانياً: | أخذ زمام الحديث بالقوة |
| ٣٤ | ثالثاً: | التهويل من مقالة الطرف الآخر |
| ٣٥ | رابعاً: | وصف الطرف الآخر بما لا يليق |

| | | |
|---|--|---------------|
| | فهرس | |
| | الموضوع | الصفحة |
| ١ | | ٣ |
| | مسالك الناس في حل الخلاف | ٥ |
| | الحرب | ٥ |
| | الحوار | ٧ |
| | : | ٩ |
| | : | ١٨ |
| | الجانب الأول: دعوة الناس إلى الإسلام والسنة | ١٨ |
| | الجانب الثاني: فصل الخلاف في الأمور الاجتهادية.. | ٢٠ |
| | الجدال المحمود..... | ٢٢ |
| | : | ٢٤ |
| | القاعدة الأولى: تحديد موضوع الحوار | ٢٥ |
| | القاعدة الثانية: مناقشة الأصل قبل الفرع..... | ٢٥ |
| | القاعدة الثالثة: الاتفاق على أصل يرجع إليه | ٢٨ |

الهوامش

(١) أصل هذه الرسالة محاضرة أقيمت بتاريخ ١٤١٢/٤/٧هـ.

(٢) تراجع أسباب الخلاف في كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" لابن تيمية، وانظر: رسالة "الخلاف بين العلماء.. أسبابه وموقفنا منه" للمؤلف.

(٣) انظر : البداية والنهاية (٢٧٦/٧-٢٨٥)، وشذرات الذهب (٤٦/١، ٤٧)

(٤) انظر قصة صلح الحديبية في: صحيح البخاري (٢٧٣٤) من حديث المسور بن مخرمة رضي الله عنه، وصحيح مسلم (١٧٨٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) أخرج القصة عبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٧٨)، وأحمد في المسند (٣١٨٧)، وابنه عبد الله بن أحمد في

٣٧

:

أولاً: حسن المقصد ٣٧

ثانياً: التواضع بالقول والفعل ٣٨

ثالثاً: الإصغاء وحسن الاستماع ٤٠

رابعاً: الإنصاف ٤١

خامساً: البدء بمواضع الاتفاق والإجماع والمسلمات ٤٣
والبدهييات

سادساً: ترك التعصب لغير الحق ٤٦

سابعاً: احترام الطرف الآخر ٤٨

ثامناً: الموضوعية ٥١

تاسعاً: عدم الإلزام بما لا يلزم أو المؤاخذة باللائم .. ٥٧

عاشراً: اعتدال الصوت ٦٠

٦٢

:

الفهرس ٦٧

* * *

(١١) رواه ابن هشام في السيرة (١٣١/٢) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، قال: حَدَّثْتُ أَنَّ عْتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ قَالَ: .. اهـ. محمد بن كعب القرظي ثقة عالم من الطبقة الوسطى من التابعين. فالحديث مرسل.

(١٢) أخرجه مسلم (١٠٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٣٨)، وأحمد (٣٨٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٢)، والترمذي (١٩٧٧)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١٤)، والبخاري في الكبير (١٥٢٣)، وأبو يعلى (٥٣٦٩)، والطبراني في الكبير (٢٠٦/١٠)، وفي الأوسط (١٨١٤)، وابن حبان (١٩٢)، والحاكم (٢٩)، والبيهقي في الكبرى (١٩٣/١٠)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. وقال الترمذي: حديث حسن غريب. اهـ.

السنة (١٥٣٩)، والحاكم في المستدرک (٢٦٥٦)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم. اهـ. وأخرجها البيهقي في السنن الكبرى (١٧٩/٨) من حديث عبد الله بن شداد رضي الله عنه.

(٦) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد (٣٥٨/٥).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٧٩، ٨٠/١٢)، وتفسير القرظي (٧٢/٩).

(٨) أخرجه البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣)، من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٩) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٨/٩)، وانظر: المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (١٧٢/١).

(١٠) أخرجه مسلم (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢٠) انظر القصة بتمامها: في طبقات الشافعية الكبرى (٩٠، ٨٩/٢).

(٢١) أخرجه البخاري (١٤٩٢)، ومسلم (٣٦٣)، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢٢) أخرجه أبو داود (٤١٢٤)، والترمذي (١٧٢٩)، والنسائي (٤٢٤٩)، وابن ماجه (٣٦١٣)، من حديث عبد الله بن عكيم رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن. اهـ.

(٢٣) انظر القصة بتمامها: في طبقات الشافعية الكبرى (٩٢، ٩١/٢).

(٢٤) هو أبو عبد الله المعلم، إمام الإمامية.

(٢٥) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٩)، من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

(٢٦) انظر: تنوير الحوالك للسيوطي (٢٥٧/١).

وقال الحاكم: حديث صحيح. اهـ. وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥٣٨١).

(١٤) أخرجه البخاري (٣٥٥٩)، ومسلم (٢٣٢١)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(١٥) سير أعلام النبلاء (٦١/٨).

(١٦) جمهرة خطب العرب (٢٧٧/٢).

(١٧) الكراء: أجر المستأجر. المعجم الوسيط (٨١٧/٢).

(١٨) قصة شراء عمر لدار السجن أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٩٢١٣)، والفاكهي في أخبار مكة (٢٠٧٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠٩٦٢).

(١٩) أخرجه البخاري (١٥٨٨)، ومسلم (١٣٥١)، من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.